

صورة عن الجزائر
في الرواية الجزائرية

د/ حورية بوشريخة
جامعة الجزائر 2

يعتبر الأدب عموما صورة صادقة عن المجتمعات و ميادين حياتها المختلفة ثقافية منها واجتماعية و سياسية...إلخ. وتعكس الرواية -و هي جنس أدبي نثري- وجوه الشعوب المختلفة، فتصور قيما حياتية و دينية واجتماعية و سياسية، و تدعو إلى قيم أخرى بديلة عنها إن كانت الكائنة منها سلبية من وجهة نظر السارد، التي هي صورة عن آراء مجموعة من الناس إن لم تكن السواد الأعظم منهم.

ولا تشذ الرواية الجزائرية عن هذا المنظور الروائي، إذ تقدم للقارئ صورة عن الجزائر منذ أن كانت تحت الوصاية الاستعمارية إلى لحظة الاستقلال، و ما اكتنفها من صراعات سياسية واجتماعية، و تكالب للأنظمة العالمية المتباينة من أجل بسط سياستها عليها لعلها تمتصها و تصبح جزءا لا يتجزأ من معطياتها الحياتية.

فيجري الزمان فينا، "في الإنسان وكل المخلوقات التي جاءت قبل الإنسان. نعرف الموجودات بعامل الزمان، بالفعل، وعندما ننظر إلى الصفة المشتركة التي ابتليت بها كل الموجودات نجد دائما الوحدة والتباين، إنه وجه مسلط علينا، وبه نشقى ونسعد"⁽¹⁾. فالزمن يخلق مستجدات حضارية و قيما حياتية تخصنا و تختص بواقعنا الحضاري المعيش، تميزنا عن العالم الخارجي. هذا العالم الذي نتحد معه في مستجدات خلقها العولمة بكل سلبياتها وإيجابياتها، فكانت الرواية الجزائرية أصدق صورة لها منذ الاحتلال الفرنسي إلى زمننا هذا. زمن التحرك الحضاري المذهل.

تصور رواية "الأمير" لكتابتها واسيني الأعرج شخصية الأمير عبد القادر قائد المقاومة الشعبية المنظمة إبان الاستعمار الفرنسي في أول عهده، وهو الذي لم يخضع، ولم يضع سلاحه إلا حين عرف بأن الغلبة للأعداء لا محالة، فأسرو وأدخل إلى فرنسا، فمكث في قصر أمبواز، ثم نفي إلى دمشق أين فرضت عليه الإقامة الجبرية آنذاك.

يستغل واسيني الأعرج مسألة حوار الأديان و العولمة و التقارب الروحي بين الناس عبر مختلف أنحاء العالم، فيقدم شخصية الأمير عبد القادر في صورة جديدة، هي صورة إنسانية متسامحة، تتسم بأخلاق عالية، حميدة، رائعة، تؤدي بالمون سينيور ديبوش إلى التحوّل الودي مع الأمير عبد القادر حول المعاملات الإنسانية التي تتخطى أعتاب الحواجز الدينية المفروضة بين الناس، ويتحوّل هذا التحوّل إلى نوع من الصداقة بين الطرفين، فيرد النص السردى الآتي عبر سطور الرواية في قول المون سينيور: "لك كل المحبة التي تقربنا من بعض، حتى ولو اختلفنا، لتستقر روحانا داخل نفس الحقيقة الإلهية الكبيرة، كان منسنيور مندهشا من سماحة الأمير الذي لا شيء كان يجعله يختلف عن كبار الناس الطيبين الذين قضوا العمر في عزلة الرهبان بحثا عن طريق يقربهم من الله"⁽²⁾.

ولو توقف الأمر عند هذا الحد، لقلنا إنها نزعة إنسانية اقتضتها الرواية، و تطلبتها مكانة الأمير عبد القادر العالية و المجاهدة و الرافضة منذ البداية للعبودية والاستعمار، لكن واسيني الأعرج يسقط ذاتيته على الأحداث الروائية بما يشوه ذاكرة التاريخ حين يجعل الأمير عبد القادر يبدي اهتماما بالدين المسيحي، كما يبدي استعدادا للدخول فيه، و هذا في قوله للمون سينيور ديبوش: "امنحني وقتك قليلا لأتعرّف على دينك، و إذا اقتنعت به سرت نحوه"⁽³⁾.

إنه تحريف لشخصية الأمير عبد القادر، هذا الرجل الفذ، الذي لم يقتنع يوما باستعباد الشعوب و لم يستوعب أبدا السيطرة الاستعمارية لبلده الجزائر، و

قد كان حاجًا لبيت الله متصوفاً في دينه الإسلامي حازماً في أمور بلده⁽⁴⁾، فكيف له إذا أن يبدي استعداداه للاستسلام لدين آخر و لو بدافع من التسامح الديني الذي تشبع به الروائي نفسه، و أراد أن يشربه لهذه الشّخصية الروائية؟ فخرج بها بالتالي عن إطارها التاريخي الحقيقي إلى صورة أخرى هي من نسج خيال السارد المحض. ونستنتج من هذه المعطيات أنّ الروائي هنا لم يهمل المرحلة التاريخية الأولى التي لاقت فيها الجزائر مواجهات مع الجيوش الفرنسية في ثورات منظمة في البلاد، و منها ثورة الأمير عبد القادر، و لو كان أميناً و لم يزيّف الحقائق تحت ظلال العولمة و التسامح الديني المبالغ فيه لكانت روايته صورة فنية صادقة عن حقبة من حقب التاريخ الجزائري المجيد.

و بعد أن تم الاحتلال الفرنسي للجزائر و استولى الفرنسيون على الأراضي و على جميع المرافق الجزائرية و استقروا في الجزائر نتجت عدة معطيات حياتية عالجتها الرواية الجزائرية.

ففي رواية "الدروب الوعرة" يطرح مولود فرعون مجموعة من القضايا الناجمة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر، منها مسألة زواج بعض الجزائريين من فرنسيات، فينتج عن هذه الزيجات أبناء ملفوظين في كل مكان، لأنهم ليسوا جزائريين خالصين، و لا هم فرنسيين بصورة كاملة، و هذا ما حدث لعامر الذي كان يدعى في قريته (إيغيل نرمان) بابن المدام باعتبار أمه الفرنسية، و إذا ما اتّجه إلى فرنسا نعتوه بابن العربي، فهو غريب إذا أينما حلّ حتى يترصده الموت فيقع بين مخالفه. زيادة على هذا، تعالج هذه الرواية موضوع الحركة التبشيرية التي تبناها الآباء البيض إبان الفترة الاستعمارية، و هي التي أدّت بذهبية إلى اعتناق المسيحية، و هي حديثة السنّ، و اعتبار نفسها مخلصّة للجميع حتّى أنّها سمّت نفسها "مونيك". و هذه الحركة استطاعت أن تستحوذ على عقول و نفوس الناس من ضعاف العقيدة الإسلامية خصوصاً الشباب منهم، في محاولة منها لطمس مقومات الروح الوطنية التي من شأنها أن تحي

أرواح الجزائريين، و تلفت انتباههم إلى التواجد الاستعماري غير الشرعي في بلادهم، كما تطرح الرواية مسألة تقليد الشباب الجزائري للإنسان الفرنسي في كل شيء، و إذا ما لاحظ بعد ذلك بقاء العنصرية في المعاملة بينه و بين الفرنسيين سخط على المسيح و المسيحية⁽⁵⁾، التي لم تمكنه من الوصول إلى مستوى الفرنسي في حياته اليومية فيظل محروما من أبسط حقوقه.

و باختصار، فإن ثلاثة أبعاد تشغل رواية "الدروب الوعة" لمولود فرعون، هي البعد التاريخي و الاجتماعي و النفسي، إذ "يستقطب المضمون الفكري هذه الأبعاد الثلاثة للتعبير عن الوضعية التعيسة و المتخلفة للشعب الجزائري تحت قساوة الاحتلال الفرنسي"⁽⁶⁾.

و بانتقالنا من هذه المرحلة التاريخية إلى مرحلة أخرى تؤرخ لها الرواية الجزائرية نصل إلى "اللاز" رواية الطاهر وطار، التي يقول صاحبها في افتتاحيتها بأنه بدأها بسنوات الثورة مقدا تبريره لذلك قائلا: "حتى أنهى هذه، حتى أصل إلى التعرية عن آخر الجذور بعد ذلك أنكب على إبراز الوجه الجديد لبلادي العزيرة"⁽⁷⁾.

لقد انحصرت أحداث رواية اللاز في مسار زمني ثوري، أي ما بين الفاتح من شهر نوفمبر من سنة 1954م، إلى الخامس من جويلية من سنة 1962م، أي من بداية الثورة التحريرية إلى شروق شمس الاستقلال على السماء الجزائرية. تحاول رواية "اللاز" أن تصوّر مختلف النزاعات السياسية التي كانت قائمة قبل اندلاع الثورة، ولكن باشتعال نار هذه الأخيرة اختفت هذه الخلافات شيئا فشيئا إلى أن ذابت نهائيا مراعاة للمصلحة الوطنية، و مع ذلك فقد بقي البعض منها يطلّ بين الحين و الآخر عبر خيوط هذه الرواية.

يركّز الطاهر وطار على شخصية اللاز الذي كان مجهول النسب، مشكوكا في أمره فهو ابن مريانة، التي قيل عنها أنها تتاجر بالنسوة الفقيرات لصالح الرجال المعمرين منهم، كما قيل عنه إنه يقوم بمساعدة الجيش الفرنسي ضدّ بعض الثوار، لكنّ اللاز -و بمعرفته لوالده زيدان و أنه كبقية الناس ذو نسب- يعتزم

محو صورته المشوهة بعمل ثوري كبير، لولا أن ثناه والده عن عزمه، ونصحه بخدمة الثورة بطريق غير مباشر...⁽⁸⁾، هذه الاختلافات و التناقضات في شخصية اللّاز هي نفسها من خصائص الشعب الجزائري، الذي وقف البعض منه بطريقة سرّية مع الثورة، و البعض الآخر آزر الفرنسيين، و فئة منهم قدّمت تضحيات جسام. فاللّاز "Ase" هو عند الرومانيين يمثل العدد واحد، الوحدة العظمى و الكائن الأول، الذي يسبق الخلق، خلق الجيل الجزائري، الذي حمل مشعل الثورة بعد أن كان ضائعا في البداية، لا يعرف طريقه الصحيحة التي توصله إلى مبتغاة. وهذه الحقيقة التي تتمثلها شخصية اللّاز يعترف بها زيدان والده حين يقول عنه بأنه "ابن جميع النّاس ابن ذلك الزّمن، ابن ماضينا كله"⁽⁹⁾ أو هو "ابن الشعب برّمته"⁽¹⁰⁾ لهذا أبقى وطار اللّاز حيا إلى ما بعد الاستقلال في لفظة منه بأنّ الشعب هو عماد وجود الأمة.

و في رواية "صوت الكهف" لعبد الملك مرتاض، يدين المؤلّف جميع مظاهر التعذيب و الظلم و الحرمان التي يلجأ إليها المستعمر الغاشم متمثلا في شخصية المعمر بيبيكو Bibico، و ابنته جاكلين Jackline، و رايح الجن الموالي لببييكو... و القايد وغيرهم ممن رفعوا أسواطهم لقهر السّكان الجزائريين، الذين اتّخذ لهم الرّوائى من الرّبوة في الريف الجزائري مسرحا للأحداث القاهرة التي عايشوها.

و تصور هذه الرّواية جميع مظاهر الشعوذة و السحر و التّخويف بالجان و الغول و نشر البدع و الخرافات بهدف الإبقاء على عقليات سكّان الرّبوة مغلقة، تضاهي عقلية الهائم في تفكيرها في الأكل و الشرب و الجنس فحسب، لهذا تساهم الأمّ حلومة في نشر هذه الشائعات حول هذه الخرافات، و يأمر بيبيكو رايح الجن بأن يتلفع في كفن أبيض، و يخرج متدحرجا ليلا أمام الطاهر، الذي يمرّ من هناك بهدف زرع الرّعب في قلبه، و لكن الطاهر الذي حمل مشعل الثورة فيما بعد يتفطن له و يشبعه ضربا. و يصرّ السارد على الموازنة بين زينب جميلة الرّبوة و زوجة الطاهر، و جاكلين ممّا يوحي بأنّ زينب

هي الجزائر، التي أراد الكلّ الحصول عليها فتكون من نصيب الطاهر الذي فجّر نار الثورة، و سبب هذه الموازنة يعود إلى كلام بيبيكو نفسه سائلا أهل الربوة بطريقة ساخرة عنها: "زينب الثورة؟ ما هذا الكلام؟ أين هي زينب؟ أين زينبكم هذه؟ أنا بحثت عنها في كل المقابر فلم أجدها... بحثت عنها في كل تواريخ بيبيكو فلم أعرثر على وجودها... لم تكن زينب إلّا يوم كنّا نحن... زينب مجرد كلام! جاكين الموجودة... جاكين و بيبيكو و لا شيء يوجد غيرهما في هذه الروابي"⁽¹¹⁾.

يحيلنا هذا المقطع إلى مسألة الهوية الجزائرية التي نوقشت إبان الاستعمار الفرنسي فيقترب كلام بيبيكو من رأي فرحات عباس، الذي كان من دعاة الإدماج آنذاك، حيث كتب "ينفي أن يكون للأمة الجزائرية كيان أو تاريخ قبل مجيء الاستعمار إلى الجزائر"⁽¹²⁾. فكان من بين ما قاله "لو أنّي اكتشفت وجود الأمة الجزائرية لكنّ وطنيا، ولكّني لم أكتشفها، وقد سألت التاريخ والأموات والأحياء وزرت المقابر، فما حدّثني بها أحد"⁽¹³⁾.

و لكن الجزائر كانت موجودة أصلا، و إلّا ما وجد من دافع عنها في ثورات منظمة، و منها ثورة الأمير عبد القادر وغيره... وفي ثورات شعبية شتّى لم تهمد، و لم تستكين يوما حتّى اندلعت الثورة التحريرية الكبرى، كما اشتعلت ثورة رواية "صوت الكهف" بيد الطاهر لتكذب مزاعم بيبيكو وغيره ممن أنكروا الهوية الجزائرية، و مع النقص الذي سجله بعض النقاد في بعض فنيات هذه الرواية، إلّا أنّها تظل واحدة من السّجلات التي تروي نماذج من أحداث وقعت بالفعل في الجزائر و عايشها الشعب الجزائري إبان فترة الاستعمار التي دامت سنوات طوال، كما أنّها "تنتقل بنا إلى حقل تاريخي معين، هو بداية ظهور الوعي الوطني و تشكل التيار الثوري الجزائري، و المخاض العسير الذي رافق تلك المرحلة، و تتبع مراحل التّحولات التي رافقت عملية تطور هذا الوعي، ثم تجسيده ميدانيا بالثورة المسلحة منذ بدايتها"⁽¹⁴⁾. و تنجح الثورة فيأتي

الاستقلال و تأتي معه مستجدات حياتية عالجتها الرواية الجزائرية فقدمتها إلينا في قالب فني جميل.

لقد اعتبر الكثير من النقاد أنّ أول رواية جزائرية تحمل خصائص هذا الفن الحديث النشأة هي "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة⁽¹⁵⁾، ورغم فوزها بالريادة في هذا المجال، إلا أنّ كاتبها يعالج فيها "قضايا كثيرة تتّصل بالأرض و المرأة، و بنضال الأفراد من أجل الحياة و المستقبل، كما تعالج الدّوافع الشّخصية، و التّصرفات التي تحرّك الإنسان، و تقوده إلى مصيره"⁽¹⁶⁾ الحتمي لارتباطه بمخلفات ماضيه و عاداته و تقاليده التي تحوطه من كل صوب و تحكم قبضتها عليه.

لذلك فإن "أبرز ما يصدم المتلقي عند مواجهته لأحداث هذه الرواية هو ذلك الصّراع العنيد بين مخلفات الماضي و مستجدات الحاضر، بين قيم عتيقة و قيم جديدة، بين أنماط حياتية تقليدية ريفية و أنماط حياتية عصرية مدنية..."⁽¹⁷⁾، و على هذا الأساس، تقدم هذه الرواية -أي ربح الجنوب- شخصيات متباينة، فابن القاضي الرّجل الانتهازي الذي عايش أحداث الثورة و لم يشارك فيها، و بعد الاستقلال خاف على ممتلكاته من الأراضي أن تتعرّض للمصادرة باسم الإصلاح الرّزاعي عرض على مالك -الرجل الثوري و المجاهد الذي دافع عن الوطن بسلاحه- ابنته نفيسة، بعد أن عرض عليه في زمن مضى ابنته زليخة، فأحبّها مالك لكّنها استشهدت بينما كانت قادمة من العاصمة في القطار الذي انفجر بسبب اللغم في السكة الحديدية و ذلك أثناء الثورة، و هذه التضحية بالإبنة زليخة كانت من أجل أن ينفي ابن القاضي الشبهة عنه التي أحاطت به إبان الثورة. في مراوغة الثوار و تضامنه مع المعمرين، لكن نفيسة تختلف عن زليخة. إنّها درست بالعاصمة و عرفت حياة التحرر التي تحياها العاصميات، فهيات أن ترضخ لاختيار أبوي مصلي، فتنتهي الرّواية بمأساة تمثّلت في جرح ابن القاضي للرّزاعي رابح جرحا بليغا بعد اكتشافه أمر هروب ابنته نفيسة إلى بيته عند أمه، و ضرب الأم ابن القاضي

بفأس على رأسه، فأسرعت المرأتان -نفيسة وأم راج- تسعفان الرجلين لتبقى النهاية مفتوحة، هل ماتا؟ هل عاشا بعد ذلك؟ وكيف كان مصير نفيسه؟ إنَّ الأرض هي المرأة، و المرأة هي الأرض في مفهوم المعتقدات القديمة و في الرمزيات قديمها وحديثها، فالأرض التي أراد ابن القاضي المحافظة على ملكيتها بعد الاستقلال تطلبت ضريبة غالية، كما كانت ضريبة إخضاع نفسية للسلطة الأبوية أعلى، فتبقى الزوايا تشير بأصبعها إلى تشيؤ المرأة الريفية المسلوكة الإرادة، و إلى دخول الثقافة و العلم إلى عقول بعض النساء، فيوقظهن من غفوتهن، ليرين وضعياتهن المزرية، ويثرن عليها ثورة يائسة. كما تشير هذه الرواية إلى الثورة الزراعية "كحقيقة تاريخية ذات جذور في المجتمع الجزائري، وأصبحت أكثر من ضرورة و تأصيلا، ثم أبعد عمقا و أشد تنظيما قانونيا وكانت النفوس تمهيا لاستقبال "ميثاق الثورة الزراعية" الذي صدر سنة 1971م لتكون الإجراءات صارمة عنيفة، مخيفة للإقطاعيين و ضروب الإقطاعية، مبشرة ببداية النهاية"⁽¹⁸⁾، نهاية الظلم والطغيان و العبودية و عهد السيد و المسود، لبناء جسر متواصل بين المدينة و القرية، لفك العزلة عن هذه الأخيرة، التي ظلت تنخرها عاداتها و تقاليدها البالية، و تبرز صورة الثوار المحافظين على أصالتهم و جدّهم الذي عرفوا به إبان الثورة في شخصية مالك رئيس البلدية الجديد الذي خدم الثورة بحب و إخلاص و تفاني، و لم يغيّر مركزه الذي وصل إليه بعد الاستقلال إذ بقيت قضايا بلده تحتل الصدارة في حياته اليومية.

وهكذا أبرزت رواية "ريح الجنوب" صورة عن جزائر ما بعد الاستقلال. جزائر الطّموح إلى الخروج من وحل مخلفات الاستعمار، و التخلص من الوصوليين و الانتهازيين و الإقطاعيين لتتنفس في جو طاهر من الحرية و التطور و الرقي. من جهة أخرى، يصور كاتب ياسين في روايته "نجمة" الجزائر الفتية في صورة امرأة "تنسب إلى قبيلة "كلوت"، التي نزحت بدورها من الجزيرة العربية، و

استقرت بمنطقة الناظور بالشرق الجزائري⁽¹⁹⁾. وهذا ما توضحه الرواية في الكثير من سطورها⁽²⁰⁾.

ونجمة يتيمة تبنتها للا فاطمة، فربتها كابنة لها لكونها عاقرا، و حين كبرت، تزوجت من كمال، الرجل الطيب المسالم بعد أن أصرت على هذه الزيجة للا فاطمة، حتى يحافظ عليها ويحميها من غائلة الزمان⁽²¹⁾، فنجمة الأسطورة يهاها أربعة رجال هم رشيد، الأخضر مراد، و مصطفى، و هم في سعيهم الحثيث للحصول عليها والتفتيش عنها يشكّلون الإطار العام لهذه الرواية.

و تعتبر نجمة "أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة"⁽²²⁾، فهي من أم فرنسية تخلّت عنها و أب جزائري مجهول الهوية لذا أعلن كاتب ياسين بنفسه بأن نجمة هي "روح الجزائر الممزّقة من البداية و المهدودة بشتى التوترات الداخلية"⁽²³⁾، فهي مجهولة الهوية لأنّ أمها تخلّت عنها و لم يولها أبوها الجزائري اهتماما، مما يعني في نظرنا أنّ الجزائر لم تلق الذين يحيطونها بالرعاية و الاهتمام البالغين، اللذين كانت في أمسّ الحاجة إليهما بينما لم تجد أمامها إلّا أولئك الذين يسعون إليها لتلبية أغراضهم الخاصّة و مصالحهم الشخصية دون أن يلتفتوا إلى أغراضها و ما تتطلبه منهم من عناية فائقة بها، و مع أنّها تحيا في قلوب محبيها، و في تفكيرهم، و هي "حاضرة معهم أينما كانوا و حيثما وجدوا حين يجتمعون و حين ينفردون... يداعب طيفها أحلامهم، و يملأ عليهم حياتهم، و يخفّ وطأة المعاناة عليهم، فنجمة هي المنطلق و المنتهى في كل شيء في حياتهم"⁽²⁴⁾، إلّا أنّ كاتب ياسين يعرض أيضا المظالم السياسية و الاقتصادية⁽²⁵⁾ في الجزائر، إذ يتحدث عن ذلك في روايته قائلا: "عشرون ألفا من تجار الكروم يتقاسمون الأرباح، بينما نحن نشرب الماء... و نحن نركب الحمير رغم أن موارد الحديد في "الوزنة" تنتج أجود أنواع الصلب لصناعة الطائرات النفّاثة"⁽²⁶⁾، و هو في الوقت نفسه يوجه كلامه إلى الذين خانوا الوطن و تعاملوا معه بأنانية لخدمة أهوائهم الخاصّة⁽²⁷⁾.

و مع كل هذا، تبقى رواية نجمة تمثل الجزائر اسما و فعلا، فهي في اسمها ترمز إلى الجزائر بشكلها الخماسي الواضح على الخريطة، و نجمتها التي تتوسط علمها الوطني⁽²⁸⁾ وهي الجزائر التي عانت الولايات أثناء الاستعمار الذي تركها مسلوقة الإرادة مثلما تربت نجمة صغيرة دون ولي، ثم تكالبت عليها قوى من كل صوب و حذب من أجل فرض نفسها عليها، و بقيت تثير شهية كل من يراها، فيعجب بها، و تتوق نفسه إلى الاستيلاء عليها.

أما رواية "الجازية و الدراويش" لعبد الحميد بن هدوفة فقد مثّلت الجزائر ما بعد الاستقلال حين أوضحت حلما للأنظمة المختلفة عساها أن تغرز ركانزها فيها، فالجازية عشقها الكثير من الشباب من مختلف الشرائح الشعبية، غير أنّها ظلّت حلما يراود الكلّ، فهي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة. يقول المؤلف عنها: "ماتت أم الجازية أثناء الوضع، أبوها لم يعد من الحرب، رفاقه قالوا قتل بألف بندقية! لم يكن شخصا، كان شعبا. كلّهم يعرفون متى استشهد، لكنهم لا يعرفون قبره، لم يدفن في الأرض، دفن في حناجر الطيور"⁽²⁹⁾، كان من بين عشاق الجازية الطيب بن الأخضر بن الجبالي الذي يدل اسمه على الثورة، و كانت الجازية تحنّ إليه من الوقت إلى الآخر، لكن سلبيته و ركونه إلى الحلم جعله يسجن و يرضى بواقع سجنه دون أن يبدي استعدادا للدفاع عن نفسه، و الطالب الأحمر، صاحب الحلم الأحمر، الذي رضيت الجازية بمراقصته متحدية الدراويش، و الرعاية، و حمايتها قد وجد ميتا في القرية، و هو موت للنظام الاشتراكي الشيوعي، الذي لم يقدر على الصمود في البلاد. و عايد المغترب الذي رجع من فرنسا بعد أن حثّه والده قبل موته في الغربة أن يعود من أجل الجازية قد التقى بجازية أخرى فتعلق بها قلبه، و اكتشف أنّها حجيّلة أخت الطيب و ابنة الأخضر بن الجبالي. و ابن الشامبيط، الذي عاد من أمريكا من أجل الجازية حتى يمحو والده عنه عار الشمبطة، عاد أدراجه، و لم يدخل القرية بعد موت والده فجأة.

وهكذا تبقى الجازية، الجزائر الحلم شامخة أبية عن غزو جميع الأنظمة الغربية عنها تهفو نفسها إلى الثورة و الثوار تارة، و إلى يد قوية تنتشلها من أسطورتها تارة أخرى فيرضى الطيّب بالطالبة صفية التي تزوره بالسجن و تزرع فيه روح الأمل من جديد. وتتعالى في القرية الزغاريد احتفالا بزفاف عايد و حجيّة، و تغم الجميع الفرحة، في إشارة من المؤلّف إلى أن صفية و حجيّة هما وجهان واقعيان من وجوه الجازية، كانتا مع شخصين ينتميان إلى جيل الثورة بصلة وثيقة، و ركيزة متينة. و من هنا نلاحظ أنّ "الماضي التاريخي يشكلّ الخلفية التّاريخية للحاضر، ويتمّ استحضاره عند الحديث عن تاريخ بعض شخصيات الرواية و بخاصة فيما يتعلق بمشاركتهم في الثّورة من أمثال والد الجازية... و كذا الأخضر بن الجبالي... و السايح والد عايد، الذي نفى نفسه في المهجر مع مطلع الاستقلال، و عن الذين خانوا الثورة بتعاونهم مع الاستعمار من أمثال الشمبيط"⁽³⁰⁾.

في قصة "هابيل" لمحمد ديب يوظف هذا الروائي -الذي يكتب باللغة الفرنسية- شخصيات قابيل و هابيل و مجنون ليلى "للتعبير عن هموم الإنسان المهجر من وطنه، الذي لم يجد مخرجا إلّا في الحبّ، و ما يتمخض عنه من عواقب"⁽³¹⁾ فهو يحاول التعبير بهذه الشّخصيات التاريخية و الدّينية عن الحياة التعيسة التي يحياها المواطن الجزائري في القرن العشرين، و الكاتب يجعل من هابيل، القاتل في القصة الدّينية هو الضحية على يد أخيه قابيل، الذي يصبح ذا حيلة و مكرو ودهاء استخدمها في القضاء على أخيه بنفيه إلى الخارج مكرها، فتصبح الغربة "موضوع تأمل و مصير بالنسبة إليه، و ليس تخلصا له من حياة الجوع و الفقر"⁽³²⁾ و ليلى "Lily" هي حبيبة هابيل، التي تضاهي ليلى في "مجنون ليلى" إذ تصاب بالجنون، و يتمنى هابيل أن يلحق بها في مستشفى الأمراض العصبية. فقابيل الجزائري هو الذي يقوم بنفي هابيل من حيّه ليتسنى له الاستيلاء عليه و الاستحواذ على السلطة فيه⁽³³⁾، مثلما حاولت

جماعة في السلطة القضاء على غيرها ممّن بإمكانهم أن يزاحموها في الحكم، و لو كانوا من أعز الأصدقاء و الخلّان، و شعارهم في ذلك الغاية تبرّر الوسيلة. و في رواية "ألف وعام من الحنين" يصوّر رشيد بوجدرّة تبعية الجزائر للدولة القوية اقتصاديا و ثقافيا من خلال تواجد الفرقة السينمائية الهوليودية في قرية المنامة، إحدى القرى المترامية في الرّيف الجزائري. هذه الفرقة جاءت في صورة مقتنعة لزراعة الثقافة الغربية، و تشويه التاريخ العربي عن طريق تصوير قصة "ألف ليلة و ليلة" تصويرا ضد سلطة بندر شاه المتحالفة مع المستعمرين (الفرقة الهوليودية و الجنرال يهودي)، و تنجح الثورة، و يتولّى الحكم حاكم جديد، لكنّ البرنامج الإصلاحي الذي تاق عديم اللقب إلى تطبيقه لم يتحقّق منه شيء، فالتصوير لم يتوقّف، و الفرقة السينمائية لم تغادر المكان... إلخ مما يشير إلى أنّ الرواية "تفضح هذه السلطة الاستبدادية و طرقها القديمة، التي لا تزال تمارس سياستها في أشكال متعدّدة و بأقنعة جديدة حتّى وقّتنا الحاضر"⁽³⁴⁾. و الفرقة السينمائية هي رمز للتّواجد الامبريالي الذي كان منتشرا في الوطن العربي في أشكال مختلفة، فالأجانب يبسطون سلطتهم بمعونة عملائهم من السّاسة العرب، الذين مهما تغيّرت أسماءهم لا تتغير طبيعة تعاملاتهم مع هؤلاء الدّخلاء، و لا ينگّبون أبدا على إصلاح مجتمعاتهم بما يخدم تطورها بعيدا عن كل سيطرة أجنبية⁽³⁵⁾.

من جهة أخرى، نرى أنّها كثيرة هي الروايات التي تعالج انتكاسة الجزائر ما بعد الاستقلال إذ لم يكّد يتخلّص الناس من معاناة الاستعمار حتّى ألفوا أمامهم فئة استغلالية تسلّمت الحكم و راحت تعبث بأهوائها الخاصّة فيه، مسلّطة أدوات قمعها المختلفة على الرعيّة فكان من بينها رواية "عزوز الكابران" لمرزاق بقطاش.

ففي رواية "عزوز الكابران" يعالج مرزاق بقطاش "احتكار الحكم، و تشويه الماضي الثّوري المجيد"⁽³⁶⁾ و ذلك من خلال شخصية عزوز الكابران، الذي - و بالرّغم من مشاركته في الثورة- فقد خان الأمانة و تحوّل إلى سياسة قمعية

استبدادية تخدم مصالحه الخاصّة، في حين تمثّل شخصية عمر الزواوي تلك الفئة التي خدمت الثورة و الماضي المجيد و تحوّلت في حاضرها إلى خدمة الأرض و فلاحتها، أمّا الإمام أو شيخ الجامع والطبيب فقد كانا من الشّخصيات التي وُجّهت مساعيها إلى محاربة الظلم و الفساد الآتين من السلطة، التي يمثّلها عزوز الكابران و سعيد زوج نجوم ابن قائد الثكنة أو العسكري في الأمن و غيرهم. و من هنا، فإنّ "توظيف موضوع الثّورة في هذه الرواية كان بغرض تعليل استيلاء بعض الشّخصيات على الحكم، و إبراز إنجازات الشّعب في الماضي و مقابله بما آلت إليه تلك الإنجازات في الحاضر"⁽³⁷⁾. و تنتهي الرواية بانتصار الحقّ على الظلم، و يستريح أهالي القرية من المطاردات التي تعرضوا لها على مدى سنوات و هي نهاية متفائلة، لا تعكس الحقيقة الكائنة على وجه الجزائر المتألمة، التي دفعت ضريبة الدم في كل مرّة، و لم تسرّج من ألمها بعد. و مع ذلك فقد "وضع الروائي سبأته على الجرح السّياسي داخل أنظمة الحكم المستبدّة بالرّأي و الفعل معا، فرغم الشرعية الثورية التي من أجلها تقلّدت هذه المجموعة الحكم، فإنّها حوّلتها مع الزمن و الصمت إلى حكم جائر و ظالم، و منحت لنفسها قدسية"⁽³⁸⁾ الأنبياء المعصومين عن الأخطاء، فلا يحقّ لأي مواطن انتقاد سلوك القائد السّياسي أو مشاريعه -إن وجدت أصلا- و هو أميل إلى عداوة المثقفين⁽³⁹⁾ أينما حلّوا، لأنهم الفئة الواعية في البلاد التي تدرك أخطاءهم التي يغطّونها بأساليب ملتوية.

و في رواية "نوار اللوز" يركّز كاتبها الأعرج واسيني على موضوع واحد أساسي هو قضيّة التهريب عبر بلدة المسيرة إلى ما يحدّها من حدود، وذلك بحثا عن كسب الرّزق بطريق محفوف بالمخاطر المهلكة حتما، و يتفرّع عن هذا الموضوع الإنساني الرّئيسي موضوعات صغيرة، هي الأخرى من الأهمية البالغة بحيث تخدم الموضوع الأساسي للرواية، و تتمثّل هذه الموضوعات في تدهور حالة مواطني مسيرة الإجتماعية و الصحية، و ما رافقها من انتشار الآفات الاجتماعية كالبطالة، و السرقة، و الرّشوة و البيروقراطية، و غيرها ممّا عرف

في الجزائر بعد الاستقلال⁽⁴⁰⁾ بمدة معينة، و من هنا نرى صالح الزوفري يتّجه مع سكان الأكوخ و البيوت الفوضوية إلى البحث عن لقمة العيش، و ذلك في عهد ما بعد الاستقلال⁽⁴¹⁾، فيتمّ القبض عليه في الفصل الرابع من الرواية، و مع ذلك كان حلمه يراوده بينما كان في طريقه إلى السّجن، ذلك أنّ ابنه من لونجا سيأتي إلى الوجود مع مطلع الربيع. "لقد انتهى عصر الغولة و نجت لونجا... و وليدها، و راح صالح الزوفري ضحية إدمانه على صنعة التهريب القذرة. ولكن وعود الجازية... قد بقيت -أيضا- شعارا مقدّسا لجيل ما بعد بني كلبون"⁽⁴²⁾. و لقد أبدى الرّوائي حسرته على الزّمن البديّ، زمن الثّورة و التّضحيات الجسام التي قدمها الشّهداء⁽⁴³⁾ في يوم الشّتاء الأسود فجاء الربيع ليعرف الناس انتكاسة متجددة مع ظروف حياتية صعبة و قاسية ساهمت في انتشار جميع المحظورات و الآفات، التي بإمكانها أن تؤدّي إلى دمار الحضارات ناهيك بالمجتمعات البائسة.

في رواية "الورم" لمحمد ساري يصوّر صاحبها ما اعتمل من أحداث في الساحة الجزائرية في السنوات الدامية التي عرفت بسنوات الإرهاب، و "يحيل العنوان "الورم" مباشرة على المرض الخبيث - كما هو واضح- الذي يكني به الرّوائي عمّا أصاب البلد من مرض يستعصي على الشفاء"⁽⁴⁴⁾ و تجري أحداثها في نواحي بوفاريك، التي لا تبعد كثيرا عن الجزائر العاصمة، و تتموقع بالضبط في الأماكن الزراعية، أين تنتشر الجماعات المسلحة فتتخذ تلك الأماكن مسرحا لأحداثها الدامية، لتختفي بسرعة بعيدا عن أنظار الرّقابة و العامّة من الناس، وهي ذات شخصيات متنوّعة من طبقات متباينة من الشّعب، الذي هو دائما عرضة للعنف، يدفع الثمن دون اقتراف أيّ ذنب، ولكن الروائي محمد ساري لم يذكر زمن روايته هذه بالتحديد، غير أنّه يقدم مؤشرات ضمن عناصر القص تبين بأنّ "حوادثها تجري في سنة 1994م إلى 1995م، و هما السّنّتان اللّتان بلغت فيهما موجة العصيان المسلح أبعد مداها"⁽⁴⁵⁾. و من هذه المؤشرات حدث إطلاق سراح الشّخصية الرّئيسية من معتقلها بالصحراء، و تسمى كريم

بن محمد، ذلك أن الجماعات المسلّحة أصبحت ذات حرّية نادرة الوجود في السنتين المذكورتين آنفا، حيث ضربت بكل قوة جميع شرائح الشعب، و في جميع الأمكنة إذ "اغتيال العديد من الصحفيين و المثقفين في المدن، و الكثير من شبان الخدمة العسكرية في القرى و الأرياف حين كانوا يذهبون في الإجازات أو يسرّحون من الخدمة"⁽⁴⁶⁾، وآخرون من مختلف طبقات الشعب دفعوا ضريبة التطاحن السياسي غالية.

و تتضح صورة الإرهاب في بعض أحداث هذه الرواية، و منها الهجوم الذي شنّه أمير الجماعات المسلحة قادة يزيد على بلدية وادي الرمان، حيث كان كالإعصار الجارف الذي يخلف أضرارا جسيمة من حرق و اختطاف و قتل، فكان من بين الذين ذهبوا ضحايا ما يعرف بظاهرة الإرهاب الصحفي التلفزيوني يوسف و والدي المجند عبد الله حين تغيب هو عن البيت⁽⁴⁷⁾ زيادة على ذلك، يبرز تيار الوعي لدى بعض الشخصيات فترة الثورة التحريرية عن طريق استرجاع هذه الشخصيات لأهم الأحداث، التي مرت بهم إبان الاحتلال الفرنسي، كما سلط الروائي الضوء على المظاهرات العارمة التي وقعت في أكتوبر من سنة 1988م "التي زلزلت النظام الذي كان قائما آنذاك. و شكّلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصرة، فقد ترتبت عن تلك الانتفاضة أمور كثيرة...، أهمّها تغيّر طبيعة النظام السياسي الذي انتقل في طفرة لا مثيل لها من الأحادية إلى التعدّدية..."⁽⁴⁸⁾.

و تعبّر رواية "بحثا عن آمال الغبريني" لبراهيم سعدي في نظر البعض أيضا عن "قطاع واسع من رجال العلم و الفكر و الثقافة بصفة عامة، الذين عانوا من كابوس الإرهاب و مازالوا يعانون من عدم التقدير، و من ثمة حالة الضياع و اللاستقرار، و الآمال عن "آمال" سرابية لا وجود لها إلّا في هواجس صاحبها"⁽⁴⁹⁾ ذلك أنّ وناس خضراوي ظلّ يتعقب آثار آمال، الطالبة الجامعية التي سعى إلى تزويجها مرتين، فسافر خلفها أينما حلّت بالرغم من مرضه، و ضعفه البدني إلى أن انتهى به تفتيشه عنها إلى موت حتّي. فأمال في نظرنا هي تلك الآمال

الزائفة التي يطمح إليها الإنسان، بينما تكون في يد غيره و هي الحلم في الاستقرار الذي يبحث عنه المواطن الجزائري، فلا يعثر عليه في أي مكان حتى يؤول إلى نهاية مأساوية مفعجة.

نستنتج من هذا العرض السريع الذي اتّضح فيه وجه الجزائر منذ الحقب الأولى للاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال بزمان معين، أن الجزائر عانت الولايات من قبل المستعمر الغاشم الذي أراد تحطيم أبنائها عن طريق القضاء على أهمّ عناصر المقومات الشخصية لهم، وبعد أن كان قد سلبهم حقوقهم في التعلّم و التمتع بأبسط ضروريات الحياة، ناهيك عن استحواده على أراضيهم، فقد حاول محو هويتهم العربية و المسلمة عن طريق تجنيسهم و تمسيحهم، و نشر الخرافات و البدع و الشعوذة فيهم، كما فعل المعمّر بيبيكو في رواية صوت الكهف لعبد الملك مرتاض، إلّا أنّ تواجد الكثير من النفوس الأبية التي رفضت الظلم و الطغيان أعاق المعمّرين عن تحقيق جميع مساعيهم، و إن نجحوا في نشر لغتهم بين الجزائريين و البعض من ثقافتهم، لذا حاولت الرواية الجزائرية أن تعرض هذا الجانب و تبرز تلك النفوس الثائرة التي قاومت الاستعمار بشدة، من أمثال الأمير عبد القادر كشخصية حقيقية، و اللاز و زيدان و الطاهر... و غيرهم كشخصيات فنية ترمز إلى الواقع الجزائري المعيش. غير أنّ الجزائر التي عانت بالأمس من ويلات الاستعمار، فدفعت الثمن باهضا لنيل استقلالها و استرجاع كرامتها قد ألقت أمامها مجموعة كبيرة من الانتهازين و الطامعين من الذين أرادوا أن يمحو عنهم عار بيع أنفسهم لفرنسا بالماضي، فادّعوا الوطنية، كما فعل ابن القاضي في رواية "ريح الجنوب"، أو خانوا الأمانة مجدّدا بحفاظهم على مخلفات الاستعمار كحال بندر شاه و مهدي واعي اللّذين سمحا للفرقة السينمائية الهوليودية بممارسة نشاطها السياسي المقنّع باسم تصوير حلقات من "ألف ليلة و ليلة". و ذلك في رواية "ألف و عام من الحنين" لرشيد بوجدر. غير أنّ البعض برزت خيانتهم للأمانة في التكالّب على الحكم لخدمة مصالحهم الخاصّة لا غير، و إذا ما وجدوا أمامهم معارضة

ما، عاثوا فسادا في البلاد وقتلوا أهلها غيلة، و اغتصبوا نساءها كفعل عزوز الكابران في الرواية البقطاشية، أو أحاطوا الثوار و خدّمة الجزائر من كلّ صوب و حذب، حتّى ألقوا بهم في ديار الغربة و النفي تخلصا من مزاحمتهم لهم في الحكم، و وضع القوانين الصّارمة التي قد تحول دون تحقيقهم أطماعهم الشخصية كفعل هابيل بأخيه في رواية مولود فرعون.

من جهة أخرى، تبقى الأنظمة على اختلاف أنواعها تتكالب على أرض الجزائر لعلّها تفرض نفسها فيها و في ساحتها السياسية. هذا ما تصوره روايتي نجمة و الجازية و الدراويش، ولئن تزوجت نجمة من ذلك الشاب المسالم الطيّب، فإنّ الجازية ظلّت مستعصية عن الكلّ، و قد أدّى الاقتراب منها إلى موت الطالب الأحمر رمز النظام الاشتراكي الشيوعي الذي دخل الجزائر في فترة ما و لم يعمر طويلا.

و نظرا للخيانة المتوالية للجزائر من قبل حاكمها و مسيّرها من الانتهازيين الذين فتحوا أبوابها على مصراعيه للمستغلين، و حرّموا أبناءها من خياراتهم، ثار الشّعب في مظاهرات سنة 1988م و نشأ حينها ما عرف بظاهرة الإرهاب، و هما الحدثان اللذان صوّرتهما بعض الروايات الجزائرية "كالورم" لمحمد ساري و "بحثا عن آمال الغبريني" لابراهيم سعدي... و غيرها، كما صوّرت بعض الروايات ما ظهر في الجزائر من آفات اجتماعية نتيجة العولمة و التفتح الحضاري كالسرقة و المخدرات و التهريب، و غيرها من المظاهر التي أصبحت كالطاعون الذي ينخر الكيان الجزائري ليحطّ به في الحضيض الأسفل و يتّضح هذا على سبيل المثال لا الحصر في رواية "نوار اللوز" للأعرج و اسبيني، و لكن أسئلة متعددة تطرح نفسها هنا و يستعصي علينا الإجابة عنها في هذا المقام، و من بينها إن ظاهرة الإرهاب، التي استفحلت في العالم و التي هي ناتجة عن العولمة و التفتح الحضاري لماذا ظهرت في الجزائر و نحن أبناء وطن لم يكد يخرج من كيد استعمار غاشم؟ و معنى ذلك أنّ بلدنا يعدّ كالجنين الذي وضع بين أيدينا، فكان بإمكاننا أن نصنع منه ما نريد، فكيف غزته هذه الظاهرة

الغريبة و هو ما يزال حدثا صغيرا؟ حيث لم يكن بيننا و بين الاستقلال آنئذ سوى سنوات قليلة.

زيادة على ذلك، إنّ الرواية الجزائرية -و من النماذج التي عدنا إليها- قد قدمت لنا الجزائر المتألمة التي كانت تئن عقب كل الحقب التاريخية التي مرت بها. تألمت من الاستعمار و تألمت من الخونة و من الظلمة و من الطغاة و الإقطاعيين و الانتهازيين، و من الإرهاب و اللصوص و المجرمين، فأين الوجه المشرق من الجزائر؟ و أين خصائصها الايجابية؟ و أين روح المؤازرة التي جمعت الشعب خلال فترات حياته المريرة التي مرت به و خلال نسيمات حياته التي استنشقتها في ظلال الحرية؟ هذا ما لم نره في الرواية الجزائرية التي عزفت عن تصويره، ففضّلت تصوير الآلام لا غير.

و يبقى لنا أن نقول أخيرا كلاما مستوحى من رواية رشيد بوجدر "معركة الزقاق" بأن التاريخ و صفحة التاريخ، و وجه الجزائر الحقيقي علينا أن نغربله و ندققه من جميع الأوجه المقدمة إلينا، لعلنا نعثر على صفحتين الأولى حقيقية و الثانية صافية، مشرقة باسمه لم يلوثها عامل الزمن، و لم تعبت بها أيدي العبّاثين من المشوهين للحقائق و لجميع الوقائع كما بحث طارق مع أستاذ التاريخ عن حقائق فتح الأندلس و إحراق السفن لدى رشيد بوجدر.

الهوامش

- 1- يوسف سبتي، "الرواية و مسألة الزمان"، مجلة "المساءلة"، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ع1-1991م، ص 169.
- 2- واسيني الأعرج، "كتاب الأمير"، (مسالك أبواب الحديد)، منشورات الفضاء الحر الجزائري، ط1-2004م، ص 23.
- 3- المصدر نفسه، ص 44.
- 4- لمزيد من التفاصيل، انظر مرابطي صليحة، "المتكلم و التاريخ" بين روايتي "بعيدا عن المدينة" لآسيا جبار و "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، مجلة "الرواية بين ضفتي المتوسط"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2011م، ص 93، 94.

-
- 5- انظر عمر بن قينة، "الريف و الثورة في الرواية الجزائرية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988م، ص 21.
- 6- المرجع نفسه، ص 23.
- 7- الطاهر وطار، "اللاز"، (كلمة المؤلف)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ط1- 1974م، ص 8.
- 8- انظر محمد مصاييف، "الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية و الالتزام" الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983م، ص 29-31.
- 9- الطاهر وطار، "اللاز"، ص 103.
- 10- المرجع نفسه، ص 164.
- 11- عبد الملك مرتاض، "صوت الكهف"، دار الحداثة، بيروت، ط1-1986م، ص 210.
- 12- سعيد سلام، "التناص التراثي" (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، الأردن، ط1-2010م، ص 145.
- 13- المرجع السابق، ص 145 أو راجع مقولة فرحات عباس بالفرنسية من هامش الصفحة نفسها.
- 14- المرجع نفسه، ص 259.
- 15- انظر أحمد منور "ملاح أديبة" (دراسات في الرواية الجزائرية)، دار الساحل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2008م، ص 17، أو عمر بن قينة، "الريف و الثورة في الرواية الجزائرية"، ص 25.
- 16- عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص 201.
- 17- شايف عكاشة، "مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية"، (قراءة مفتاحية، منهج تطبيقي) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 9.
- 18- عمر بن قينة، "الريف و الثورة في الرواية الجزائرية"، ص 36.
- 19- أحمد منور، "ملاح أديبة" (دراسات في الرواية الجزائرية)، ص 120.
- 20- voir Kateb Yassine, « Nedjma », Edition du seuil, Paris 1966, p 124,129,134...
- 21- انظر أحمد منور، "ملاح أديبة" (دراسات في الرواية الجزائرية)، ص 122.
- 22- أبو القاسم سعد الله، (دراسات في الأدب الجزائري الحديث)، الدار التونسية للنشر 1985م، ص 102.
- 23- المرجع نفسه، ص 103، 102.
- 24- أحمد منور، "ملاح أديبة"، ص 125.
- 25- انظر أبو القاسم سعد الله، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، ص 103.
- 26- كاتب ياسين، "نجمة"، باريس 1956م، ص 8 بترجمة أبي القاسم سعد الله في: "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، ص 103.

-
- 27- انظر أبو القاسم سعد الله، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، ص 103.
- 28- انظر أحمد منور، "ملاحم أدبية"، ص 120.
- 29- عبد الحميد بن هدوفة، "الجازية و الدراويش"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص 24.
- 30- الطاهر رواينية، "الفضاء الروائي في الجازية و الدراويش"، مجلة "المساءلة"، ع 1- 1991م، ص 26، 27.
- 31- سعيد سلام، "التناص التراثي" (الرواية الجزائرية أنموذجا)، ص 337.
- 32- المرجع نفسه، ص 335.
- 33- لمزيد من التفاصيل راجع محمد ديب، "هابيل"، تر. أمين الزاوي، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، 1986م.
- 34- سعيد سلام، "التناص التراثي" (الرواية الجزائرية أنموذجا)، ص 230.
- 35- لمزيد من التفاصيل راجع رشيد بوجدر، "ألف و عام من الحنين"، تر. مرزاق بقطاش، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م أو:
- Voir Rachid Boudjedra, « les 1001 années de nostalgie » Edition Denoël, Paris 1979.
- 36- مهدية ساهل، "المتعلبات النصية في روايات مرزاق بقطاش" رسالة دكتوراه، إشراف د. عبد الحميد بورايو، جامعة الجزائر 2- 2010-2011م، ص 336.
- 37- المرجع نفسه، ص 337.
- 38- محمد ساري، "السلطة الكليانية و جرائمها"، (قراءة في رواية عزوز الكابران لمرزاق بقطاش)، مجلة "المساءلة"، ع 1- 1991م، ص 149.
- 39- انظر المرجع نفسه، ص 149.
- 40- انظر شايف عكاشة، مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية"، (قراءة مفتاحية، منهج تطبيقي)، ص 40.
- 41- لمزيد من التفاصيل راجع: واسيني الأعرج "نوار اللوز"، دار الحداثة، بيروت ط 1- 1983م.
- 42- شايف عكاشة، "مدخل إلى عالم الرواية الجزائرية"، ص 46.
- 43- انظر المرجع نفسه، ص 43.
- 44- أحمد منور، "ملاحم أدبية"، ص 162.
- 45- المرجع نفسه، ص 163.
- 46- المرجع نفسه، ص 163.
- 47- لمزيد من التفاصيل راجع، محمد ساري، "الورم"، منشورات الاختلاف، ط 1- 2008.
- 48- أحمد منور، "ملاحم أدبية"، ص 164، 165.
- 49- المرجع نفسه، ص 169.